3-فنون الشعر الأندلسي الحديثة

1.3-الموشحات الأندلسية

أحدث الأندلسيون فن الموشحات، التي قلدهم فيها المشارقة والمغاربة على السواء، ولاسيما في العصور المتأخرة، فابن بسام صاحب الذخيرة، يقر أن أهل الأندلس هم الذين وضعوا حقيقة صنعة التوشيح ونهجوا طريقتها. (انظر الذخيرة:2/1 ص.1). وقد أكد ابن خلدون في مقدمته هذه الحقيقة بقوله: "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح"(مقدمة ابن خلدون، ص(1137).

بعد ذلك ينتقل ابن خلدون إلى التعريف بطريقة الأندلسيين في نظم الموشح، وذكر المصطلحات التي وضعوها في أجزائه، وأهم الأغراض التي قالوها فيه، وموقف الناس منه في ذلك كله يقر ابن خلدون أنهم "ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة. ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عنده إلى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، وينسبون فيها، ويمدحون، كما يفعل في القصائد. وتجاروا في ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس جملة، الخاصة والكافة، لسهولة تناوله، وقربطريقه"(مقدمة ابن خلدون، ص1137).

وقد عرف به كذلك القاضي هبة الله بن سناء الملك في كتابه"دار الطراز" بقوله: "الموشح كلام منظوم، على وزن مخصوص، بقواف مختلفة. وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له: التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له: الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات"(دار الطراز، ص43).

1.1.3-سبب تسمية الموشح

اختلف الدارسون لهذا الفن في تسميته، لكن نجد كل التسميات مستمدة من الأصل اللغوي الذي يعني الوِشاح، أي حلي النساء الذي تضعه

بين عاتقيها. وعليه، فهناك من قال "وقد سمي هذا الوزن بالموشح لما فيه من ترصيع وتزيين وتناظر وصنعة، فكأنهم شبهوه بوِشاح المرأة المرصّع باللؤلؤ والجواهر" (الركابي، في الأدب الأندلسي، ص293).

وهناك من قال "وأصل الموشح من الوِشاح، وهو عقد من لؤلؤ وجوهر منظُومَيْن مُخالَفٌ بينهما معطوفٌ أخذهما على الآخر، تتوشح المرأة به، والشبه بين الموشحات والوشاح ظاهر في اختلاف الوزن والقافية في الأبيات وجمعها في كلام واحد"(أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، ص.224-225).

عموما يمكن القول، إنه رغم اختلاف الدارسين والمؤرخين في تسمية الموشحات، فإنهم يجمعون على أنها فن أندلسي خالص.

-2.1.3نشأة الموشحات

نشأ هذا الفن في القرن الثالث الهجري على يد رجلين من قرية قَبْرَة بالأندلس هما: محمد بن حمود الضرير القَبْرِيّ، ومُقدّم بن مُعَافَى القَبْرِيّ، كما قال ابن بسام وابن خلدون. وإن كان بعض الدارسين، ومنهم المستشرقان الإسبانيان خوليان ريبيراو غارثيا غوميز، يرون أن الموشح تقليد لشعر رومانسي كان الإسبان يتغنون به، وقد أبقوا منه الخرجة الأعجمية.

إذا كانت الموشحات قد ظهرت في أواخر القرن الثالث، فإن القرن الرابع قد شهد التفات شعراء الأندلس إليها وإقبالهم عليها، ويبدأ تاريخ النبوغ في التوشيح، بعصر الطوائف خلال القرن الخامس الهجري وما بعده (أي عصور الأندلس المختلفة التي تلت عصر الطوائف).

نُظِم الموشح في الأغراض المختلفة، وظهرت أسماء لامعة لوشاحين كان أغلبهم شعراء من أمثال أبي بكر عبادة بن ماء السماء (ت422هـ)، وعبادة القزاز (ت484هـ)، وابن اللبانة (ت507هـ)، والأعمى التُّطيلي (ت520هـ)، وابن بقي (ت540هـ)، وابن زهر الحفيد (ت595هـ)، وابن سهل الإشبيلي (ت659هـ)، وأبي الحسن الششتري(ت668هـ)، وأبي حيان الغرناطي (ت745هـ)، ولسان الدين بن الخطيب (ت776هـ)، وابن زمرك (ت797هـ)، وابن عاصم الغرناطي.

هذا عن ألمع رجال الموشحات بالأندلس في عصورها المختلفة، أما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عَانَوه من الموشحات، ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك، موشحة ابن سناء الملك، التي اشتهرت شرقا وغربا، ومطلعها:

ياحبيبي ارفع حجاب النُّور //// عن العذارْ

ننظرِ المسك على الكافورْ //// في جُلَّنَارْ

كَلّلِي* ياسحبُ تيجان الرُّبَى * بالحُلِي * واجْعَلي * سِوارَها مُنعَطَفَ الجدولِ.(انظر مقدمة ابن خلدون، ص. 1138-1135).